فى النقـــد

بقلم داود حمدان

فى الأسابيع الأخيرة كتب فى (الرسالة) أساتذة كبار بحوثاً جليلة فى النقد ، توخوا منها شحذ هم النقاد ، وحملهم على النقد المفيد الذى طالما كان عاملا هاما فى نمو الأدب وتمحيص العلم . وكان فى كلام بعضهم كلام يوهم التعريض بأشخاص انبروا للدفاع عن أنفسهم ، فكان لنا معشر القراء من ذلك فائدة ولذة

وما كنت ، وأنا من القراء ، لأزج بنفسى بين الكتاب ، لولا أن شيئا مما كتبه الأستاذ اسماعيل مظهر فى العدد ١٦١ من (الرسالة) لم أفهمه ، فجئت أستأذن (الرسالة) بنشر ما يقوم بنفسى حول هذا الموضوع ، لعل الأستاذ يتفضل بتصحيح فهمى ، فأكون له من الشاكرين.

يتساءل الأستاذ : (هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها هيكله وتشيد من فوقها أركانه ؟ ألنا فى النقد مذاهب مقررة ينتحيها الناقدون ؟ وهل لنا فى النقد قواعد تحدد للنقد حدوده ، وترسم نحومه ، وتعين اصطلاحاته ، شأن كل الأشياء العلمية والأدبية التى لها أثر فى تطور العقليات والمعقولات ؟)

ثم ينفى الأستاذ أن لنا فى النقد مذاهب (وإنما اتبعنا الى الآن فى النقد طريقة ميزانها الذوق والشعور)

وفهمى الكليل لا يرى محلاً لهذا التساؤل ، ولا يتصور كيف يكون للنقد قواعد ومذاهب ، لأن النقد — كما أفهم أنا — شىء إضافى ليس له حقيقة مستقلة ، ولذا يقال : نقد الدراهم ، ونقد العلم ، ونقد الأدب ، وغير ذلك . وهو فى كل ذلك معناه التمييز والتمحيص ومعرفة الزائف من الصحيح

ولما كان لكل علم وفن حدود وقواعد فهى هى حدود وقواعد للنقد ، وليس للنقد بعدها حدود ولا قواعد

وإنما للنقد شروط لا بد من توفرها فى الناقد قبل الاقدام على النقد : فأولها أن يكون الناقد عالماً بالشىء المنقود علم إحاطة لئلا ينقد شيئاً لا يكون داخلاً فى حدود علمه . ولعل هذا ما حمل الأستاذ أحمد أمين على أن يعيب على النقاد أن ينتقدوا ما ليس من اختصاصهم ، وذلك لأن عدم الاختصاص لا يتيح للناقد الاحاطة بالشىء المنقود . فناقد الدراهم مثلاً يجب أن يكون عالماً بماهية الدراهم ليستطيع نقدها ، وناقد علم من العلوم يجب أن يكون عالماً بقضايا ذلك العلم واصطلاحاته ، وناقد الأدب يجب أن يكون عالماً بأصول الأدب ومقاييسه ليستطيع تميز الصحيح من الفاسد ، فمعرفة الصحيح من الفاسد فى شىء ما ، هى عبارة عن معرفة ذلك الشىء نفسه ، ومن هذا يتبين أنه ليس للنقد حقيقة قائمة بذاتها ليوضع لها حدود وقواعد

وثانى الشروط أن يكون الناقد حسن النية فى النقد غير ميال مع الهوى بحيث ينظر إلى العمل من حيث هو عمل لا إلى العامل ، فان ذلك أدعى إلى العدل وأحفظ للسان من الوقوع فى الافراط فى المدح أو الذم . وليس معنى هذا أنه لا يجوز مدح المحسن فى عمل ما بما يستحق ، فان هذا كفران للجميل وقتل للمواهب التى ينميها التشجيع ويحييها الاطراء ، وأما المسىء فيكفى بيان إساءته ووقف الناس على خطئه ما دام المقصود من النقد نفى الباطل وإقرار الحق

وشرط آخر لناقد الأدب ونحوه من الفنون التى يكون للذوق فيها نصيب . وهو : أن يكون ذوق الناقد وذوق المنقود من بيئة واحدة أو متقاربة ، وأن يكون المؤثر فيهما واحداً أو متقارباً ليكونا متقاربين لا متساويين فان هذا مستحيل ، فلا ينقد مشرقى مغربيا مثلاً فى شىء تختلف فيه أذواق المشارقة عن أذواق المغاربة

وشرط التقارب هذا يعتبر ضابطاً لا بأس به فى الأدب ويكون الحكم بعد بين الناقد والمنقود الرأى الأدبى العام فى تلك البيئة

وإنما تزم هذا الشرط فى الأدب لأن الأدب من ضمن عناصره الذوق والشعور فلا جرم يكون الذوق والشعور من عناصر النقد الأدبى ، بيد أنهما لا يكونان كل ما فى النقد الأدبى من شىء . وما دام الذوق والشعور غير محددين فمن المستحيل وضع قواعد وضوابط لهما ، ولذا يكفى لقبول النقد القائم على الذوق تقارب ذوق الناقد والمنقود

وبعد ، فقد ظهر — بحسب ما أفهم — أن قواعد النقد